المحاضرة الثانية:مفهوم الاتصال:

تعني كلمة الاتصال في اللغة العربية البلاغ ، فنحن نقول أوصله الشيء أو أوصل إليه الشيء، أي أبلغه إياه. كما تعني أيضا ربط الشيء بالشيء، ومن هنا نقول استوصلت المرأة ، أي سألت أنْ يُوصل شعرُها بشعرِ غيرها. وقد تعني الأداة التي يتم بها الوصل، وتسمى الموصِّل، أو الموصِّلات، كما هو الشأن في علم الطبيعيات، حيث تشير إلى الأجسام التي تنقل خلالها الكهرباء. وقد تشير إلى الارتباط والتلاحم، حين يأتي الحديث عن التواصل.

يعتبر هذا المصطلح النشاط الرئيسي الذي تندرج ضمنه كافة أوجه النشاط الإعلامي، فهو"العملية الرئيسية التي يمكن أن تنطوي بداخلها عمليات فرعية أو أوجه نشاط متنوعة قد تختلف من حيث أهدافها ولكنها تتفق جميعا فيما بينها في أنها عمليات اتصال بالجماهير ومن هذه الأنشطة الإعلام، الإعلان، المعلومات، العلاقات العامة، الدعاية"[1]، كما لا يمكن أن تكون هناك عملية اتصال دون وجود ثلاث مراحل أساسية وهي:

- **الترميز**: بمعنى وضع كود لما سيتم بثه وإرساله من قبل القائم بالاتصال، من خلال اختيار رموز مناسبة.
- **بث الرسالة**: بمعنى نقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل بطريقة مباشرة أو عن طريق استخدام وسائط مناسبة.
- **تلقي الرسالة**: حيث يتم من خلالها استقبال الرسالة وتفكيكها وتحليلها من قبل المستقبل أو المتلقي، ثم القيام برد فعل تجاه مضمونها.

كثيرا ما يستعمل مفهوم الاتصال مكان مفهوم الإعلام، ويحدث والعكس أيضا في مرات عديدة. ويرى البعض أن مفهوم الإعلام يقتضي وجود الاتصال بشكل عام، في حين أن المفهوم الثاني لا يقتضي وجود الثاني.

فالاتصال لا يؤدي بالضرورة إلى الإعلام، فعند أداء طقوس معينة، أو حين ينفجر الكل في غمرة من الضحك الصاخب فإن الجميع يشعر بشعور مشترك وبالانتماء إلى إطار مجتمعي واحد، دون أن يرتبط هذا الشعور بمضمون معرفي ما، أي من دون وجود معلومة، ولذلك يرى الفلاسفة أن قيمة المعلومة

[1] عاطف عدلي العبد، نهى عاطف العبد، نظريات الإعلام وتطبيقاتها العربية، (القاهرة: دار الفكر العربي، 2011)، ص9.

وقياسها يكون ضمن حقل معرفي، في حين أن الاتصال يجد مضمونه ضمن الفعل والتنظيم .[2] فالتواصل لا يحتاج بالضرورة إلى مضمون إعلامي لكي يحدث، فهو يتم ضمن نسيج من العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، حيث نجده يحدث حتى بين بين الأم و رضيعها الذي لم ينطق بعد، فهذه العلاقات تحقق تواصلا وشعورا مشتركا بلغة صامتة يتجاوز مداها لغة الحروف والإشارات. مما يعني أن الاتصال أعم من مفهوم الإعلام، الذي يكون بتبليغ مضمون رسالة.

أ/ الاتصال لغة: الاتصال ما اتصل بالشيء، ووصل وصولا أي بلغ، والوصل ضد الهجران، ووصل الشيء إلى الشيء وصولا أي انتهى إليه[3]، فالاتصال في اللغة العربية هو الاستمرار عدم القطع، وبلوغ الشيء منتهاه وهدفه.

وتعني كلمة communication التعبير والتفاعل وذلك من خلال رموز لأجل تحقيق هدف معين، وتحمل الكلمة عنصر النية والقصد، وهي مشتقة من الأصل اللاتيني communis بمعنى المشاركة وتكوين العلاقة، وبمعنى الشائع أو المألوف، كما تعني عام أو مشترك، ومن ثم فالاتصال انطلاقا من المفاهيم السابقة عملية تتضمن المشاركة والتفاهم حول فكرة أو موضوع لتحقيق هدف أو برنامج[4].

ب/ الاتصال اصطلاحا: سنحاول عرض مجموعة من التعريفات؛ وسنبدأ بتعريفات الباحثين الأجانب، انطلاقا من كونهم هم من أسس لعلم الاتصال.

- **تعريف "كولي cooly"**: يقول أن الاتصال:"ذلكالمكانزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية وتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان، وهي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونغمات الصوت والكلمات والطباعة والخطوط الحديدية والبرق والتلفون، وكل تلك التدابير التي تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدي الزمان والمكان"[5]، فالاتصال عنده هو الآلية التي تتمثل فيها العلاقات الإنسانية وتتطور من خلال اختيار مجموعة الرموز المتناسبة مع الرسالة، وكذا اختيار وسائل نشرها سواء تلك المتعلقة بالشخص ذاته أو التي أسهم التطور التكنولوجي في وجودها وظهورها.

---

[2] - Daniel Bougnoux, Introduction aux sciences de la communication, Alger, Editions Casbah, 1999, p72.

[3] ابن المنظور، لسان العرب، (بيروت: دار الفكر العربي)، ج6، ص ص936، 937.

[4] مي العبد الله، نظريات الاتصال، ط2.(بيروت: دار النهضة العربية، 2010)، ص23.

[5] حسن عماد مكاوي، عاطف عدلي العبد، نظريات الإعلام، (2007)، ص ص3، 4.

_ **تعريف "كارل هوفلاند"**؛ يعرف الاتصال على أنه:"العملية التي يقدم من خلالها القائم بالاتصال منبهات(عادة رموز لغوية) لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين(مستقبلي الرسالة)"[6]، فهذا التعريف يؤكد على أن الهدف من الاتصال هو تعديل السلوكات.

_ **تعريف "جورج لندبرج"**؛ الاتصال كلمة "تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز، والرموز قد تكون حركات أو صور أو لغة أو أي شيء آخر تعمل كمنبه للسلوك، كما أن السلوك الناتج عن هذا التفاعل نتيجة لمجرد التعرض للرمز نفسه، بل لا بد من تهيئة الفرد الذي سيقوم بالاستجابة ليتقبل المنبه بشكل معين"[7]، فالاتصال حسب "لندبرج" ما هو إلا تبادل الفعل ورد الفعل بين طرفي الاتصال باستخدام منظومة رمزية مشتركية.

_ **عريف "نوبرت وينر"**؛ الاتصال:"يتضمن كل الإجراءات التي يمكن بمقتضاها أن يؤثر عقل بشري على عقل آخر، أو جهاز على جهاز آخر"[8]، يُلحظ أن هذا التعريف تعدى فكرة الاتصال بين الأشخاص ليشير لانتقال المعلومات ويتفاعل الأجهزة والآلات.

_ **تعريف "ريتشاردز"**؛ يقول الاتصال هو:"يحدث حين يؤثر عقل في عقل آخر، فتحدث في عقل المتلقي خبرة مشابهة لتلك التي حدثت في عقل المرسل ونتجت جزئيا عنها"[9]، إذن الاتصال هو تبادل معلومات بين طرفي الاتصال مما يُحدث تأثير وتأثر بينهما.

_ **تعريف "شانون وويفر"**؛ الاتصال هو:"يمثل كافة الأساليب والطرق التي يؤثر بموجبها عقل في عقل آخر باستعمال رموز"[10]، إذن يؤكد هذا التعريف على عملية التأثير في الاتصال.

_ **تعريف "جيهان رشتي"**؛ تتبنى جيهان التعريف الآتي:"الاتصال هو العملية التي يتفاعل بمقتضاها متلقي ومرسل الرسالة –كائنات حية أو بشر أو آلات- في مضامين اجتماعية معينة، وفيها يتم نقل أفكار ومعلومات(منبهات) بين الأفراد على قضية معينة أو معنى أو مجرد واقع معين، فالاتصال يقوم

---

[6] حسن عماد مكاوي، ليلى حسن السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية)، ص24.

[7] جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (دار الفكر العربي)، ص51.

[8] المرجع نفسه، ص53.

[9] مصطفى يوسف كافي، الرأي العام ونظريات الاتصال، (عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، 2005)، ص130.

[10] مصطفى يوسف كافي، الرأي العام ونظريات الاتصال، ص130.

على مشاركة المعلومات والصور الذهنية"[11]، فالاتصال هو عملية تحمل في معانيها الفعل ورد الفعل ونقل التجارب والخبرات.

_ وفي تعريف آخر؛ الاتصال هو:"عملية ديناميكية يقوم بها شخص ما/ أو أشخاص، بنقل رسالة تحمل المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر إلى الآخرين، لتحقيق هدف ما، عن طريق الرموز، لتحقيق استجابة ما، في ظرف ما(أو سيق/ بيئة اتصالية) بغض النظر عما قد يعترضها من تشويش"[12]، فهذا التعريف يعتمد على أبحاث علم النفس التي ركزت على المنبه والاستجابة، فبالتالي الاتصال عملية هادفة ومقصودة تعتمد على رد الفعل أو التغذية المرتدة من قبل المتلقي أو المستقبل.

وهناك **تعريف يشير** بمعناه العام إلى العملية التي تنقل بواسطتها رسالة معينة أو مجموعة رسائل من مصدر أو مرسل إلى المستقبل[13]، وهذا التعريف يركز على الاشتقاق اللغوي، والذي يشير إلى المشاركة في المعلومة أو الخبر وإشاعتهما، مما يؤكد على أحادية الاتصال.

تطور مصطلح الاتصال في مفهومه وتعريفه؛ ليرتبط ابتداء بنقل الخبر أو المعلومة، ثم حمل معنى التبادل بين المرسل والمستقبل، ليصل لمعنى التفاعل ودائرية العملية الاتصالية. إذن فحسب الدلالات اللغوية لكلمة الاتصال، يتضح لنا أن عملية الاتصال تحدث بين طرفين، كما أنها تتم من خلال وسيلة، ويكون من آثارها حدوث ارتباط هذين الطرفين. هذا وقد ورد المفهوم إلى اللغة الأجنبية (الغربية) من الأصل اللاتيني Communis والذي يعني المشاركة والاشتراك في الشيء، وهي تعني في اللغة الإنجليزية ذات الشيء. أما في اللغة الفرنسية فتشير كلمة Communication في اللغة الفرنسية إلى عملية الاتصال، وإلى وقوعه « Action de communiquer, d'être en liaison »وإلى طرق الاتصال (طرق، قنوات، أنهار ..) » « – Voies deوإلى الرابطة أو الوسيلة التي من خلالها يتم الاتصال... الخ هذا، ويعتبر المدلول اللغوي قريب من المفهوم الاصطلاحي، سواء في المعنى الكلاسيكي لكلمة اتصال، هذا المعنى الذي يجعل المستقبل مجردا من الإرادة عند عملية التلقي، أو من خلال التعاريف الحديثة التي تؤكد على التفاعل بين أطراف الاتصال أو تلح على عنصر الاختيار، إذْ أنها تعتبر الاتصال عملية تفاعل اجتماعي يستخدمها الناس لبناء معان تُشكّل في عقولهم صورا ذهنية عن العالم، وهم يتبادلون هذه الصور الذهنية عن طريق الرموز، ويعتبر هؤلاء الاتصال مشاركة في فكرة أو اتجاه أو

---

[11] جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الاتصال، ص53.

[12] صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، ط4.(الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2004)، ص14.

[13] سهير جاد وعبد العزيز شرف، وسائل الإعلام والاتصال الإقناعي، (القادرة: الهيئة المصرية للكتاب، 2003)، ص129.

موقف، دون أن يعني ذلك الاتفاق في الفكرة أو الاتجاه أو الموقف.[14]
ولكن يبقى جوهر الاتصال هو العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات وغيرها بين من يقوم بإصدارها والتعبير عنها وبين من يتلقاها، وما ينتج عن ذلك من تفاعل وتواصل وتغيرات، تختلف باختلاف النسق الذي تتم فيه العملية ، وهذتا ما أوضحه محمود عودة عند تعريفه للاتصال بقوله : "مفهوم الاتصال يشير إلى العملية أو الطريقة التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين، يختلف من حيث الحجم، ومن حيث العلاقات المتضمنة فيه، بمعنى أن يكون هذا النسق الاجتماعي مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين أو جماعة صغيرة أو مجتمع محلي أو مجتمع قومي أو حتى المجتمع الإنساني ككل".[15]
ولا يجب أن يعني أن التمييز بين التعاريف الكلاسيكية والتعاريف الحديثة، يعني أن الأخيرة حلت محل الأولى، بل يجب أن يفهم ذلك باعتبار أن التعاريف الكلاسيكية تخص على وجه الخصوص الجانب الإعلامي للاتصال الذي يبقى يشهد علاقة تأثير للُمرسل للمعلومات والأفكار على المتلقي من خلال الأحبار والإشهار والدعاية وباستعمال مختلف أنواع ووسائل الاتصال.
مع الاعتراف بوجود بعض التعاريف التي غالت في هذا الإطار وجعلت الاتصال مجرد استجابة المتلقي للمرسل، مثلما هو الحال بالنسبة لتعريف ستيفنكس Stevens الذي هو " الاتصال هو استجابة الكائن الحي المميز لأي مرسل".[16]
أما التعاريف الحديثة فيمكن القول بأنها تعبر عن التطور في عمليات الاتصال داخل الإدارة العصرية ونظريات التربية الحديثة التي تؤكد على طرق التعليم التي يأخذ فيها التفاعل داخل الصف الدراسي مكانه فيها بوصفه عاملا مساعدا على نجاح العملية التعليمية.
وخلاصة للقول فإن التعاريف الحديثة تشير إلى ذلك النوع من الاتصال الذي يتم بين طرفين بشكل تفاعلي، كما يحدث في أساليب التربية الحديثة أو داخل المؤسسات ذات التنظيم العالي والديموقراطي، في حين أن التعاريف الكلاسيكية تؤكد على دور المرسل في توجيه المضامين نحو مستقبل بغرض تغيير مواقفه وسلوكه، وهذا ما أفاضت في ذكره مدراس الإعلام الأمريكية التي

---

[14]- حسين خريف، الاتصال: مفاهيم، أساليب وأنواع" في فضيل دليو وآخرين: الاتصال في المؤسسة، فعاليات الملتقى الوطني الثاني، مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، قسنطينة، 2003، ص9.

[15]- محمود عودة، أساليب الاتصال والتعليم الاجتماعي، دراسة ميدانية في قرية مصرية، القاهرة، دار المعارف، 1971، ص5.

[16]- محمد سلامة محمد غباوي، السيد عبد الحميد عطية، الاتصال ووسائله، بين النظرية والتطبيق، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ، 1991، ص22.

شرحت خصائص وشروط هذا التأثير، بل أنها توسعت في الكشف عما تعتبره أسلوبا تضليليا تقوم به وسائل الدعاية والإعلام الأمريكية على وجه الخصوص.